

خطاب جلالة الملك

بمناسبة الذكرى الأولى للمسيرة الخضراء

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم بعد بسم الله الرحمان الرحيم : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا »، صدق الله العظيم.

شعبي العزيز

كانت هذه الآية في قلبي وعلى شفتي صباح اليوم، عندما كنت أرتب وأستودع رايات المسيرة وأعلامها، أستودعها روح والدي ووالدنا جميعا، وأستاذي وأستاذنا في الوطنية والغيرة على البلاد.

وإنني شعبي العزيز سوف أبقى مدينا لك طول العمر على أن سهلت علي المأمورية، وجعلتني أبر بقسمي، ذلك القسم الذي قدمته بين يدي جلالة والدي محمد الخامس طيب الله ثراه، حينما عقد لي بيعة ولاية العهد، وحينما أقسمت بين يديه وأمامك على أنني سأكون دائما مدافعا عن حوزة البلاد وعن كرامة ترابها.

وهكذا شعبي العزيز، ها هو طرف مما تعاقدنا عليه قد أديته وصرت بذلك بارا بقسمي، ولهذا أقول لك، شعبي العزيز، إنني سأبقى مدينا لك طول العمر.

في السنة الماضية، شعبي العزيز، في مثل هذا اليوم، أعطينا أمرنا بانطلاق المسيرة، عالمين موقنين بأن النصر سيحالفنا ويواكبنا لا محالة، ولكن شعبي العزيز لم تكن أنت ولم أكن أنا على علم اليقين من المدة التي سيستغرقها نضالنا حتى نرجع الى ديارنا ظافرين منتصرين، ولا من الأحداث وسيرها، بل يمكن لي أن أقول أنها فاقت جميع التخمينات والتخطيطات التي كانت تجري في الأذهان بالذات، ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعلنا جميعا بنصر وتأييد من عنده نمارس بحكمة ورزانة وثبات في آن واحد مسيرتنا الخضراء وديبلوماسيتنا واتصالاتنا الرسمية، فكانت تلك الخطتان المتوازيتان بمثابة حرب بالكلام وبالحجج وبالقانون، وحرب بالواقع على الأرض، حرب سلمية، ولكن بسيكولوجية، وما أعظم ثقل الحرب البسيكولوجية إذا كانت مبنية على الايمان والحق، وبعد أيام قصيرة توج الله المساعي بالنجاح ورجعنا، رجعنا جميعا تحفنا عناية الله مكللين بالتوفيق، مكللين بنوع من الروحانية، لأننا خضنا تلك المعركة، الايمان في قلبنا، كتاب الله في يدنا، تسبيحه والصلاة على نبيه في فمنا، فما أعجب تلك الفترة شعبي العزيز، في أقل من شهر قلنا لك تطوع فتطوعت، ثم قلنا لك سر فسرت، ثم قلنا لك اجتز الحدود فاجتزت الحدود، ثم قلنا لك قف فوقفت، ثم قلنا ارجع فرجعت، كلمات خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، ناصعة في كتاب التاريخ وسجل المؤرخين.

إنني أعتبر شعبي العزيز هذه المسيرة، وهذه سنة وأنا أفكر في معانيها وما تنطوي عليه من حكم ودروس، أنها سوف تطبع مغربنا لمدة ثلاثة أجيال أو جيلين على الأقل، لماذا ؟ لأن حركة المطالبة بالاستقلال كانت طويلة، وممتدة على عشرات السنين، بل كانت فكرية أكثر مما كانت شيئاً آخر، وحتى إذا خرجت من الفكر الى الشارع، كان الخروج الى الشارع غير منتظم لا يشمل جميع مدن المغرب، ومتقطعا فيما يخص المدة الزمنية بين المعارك، أما هذه المعركة ودرس المسيرة فلم يستغرق إلا شهرا واحدا، ولكن ذلك



الشهر بالوسائل المرئية والمسموعة جعل 16 مليون من السكان، الشيوخ، الكهول، الشبان، النساء، جعل كل هذا الشعب في مدة شهر واحد كأنه أعطي دفعة واحدة حقنة مليئة من الوطنية، من الوعي، من المسؤولية، وحتى الذين لم يشاركوا في المسيرة كانوا سائرين مع السائرين أكثر من السائرين ربما، فحتى الأطفال، حتى الفتيان، حتى الذين كانوا لا يعرفون أين تقع مدينة العيون ولا الساقية الحمراء صاروا يرددونها في الصباح، في المساء، بل وحتى في منامهم، وهكذا كما قلت لك كانت حقنة مليئة لقنت هذا الشعب ودفعة واحدة بما فيه من الأجيال الحالية والمقبلة، وحينما أقول المقبلة، أعني بهذا المقبلة على المسؤولية، لقنت هذا الشعب درسا في الوطنية، ودرسا في الوعي، ودرسا في المسؤولية.

وهكذا شعبي العزيز يتضح للجميع، أن الشعوب والجماهير، يجب أن يعتقد في حقها أنها تعرف اخلافا لما يظن كيف تفرق بين الهدف، وبين الوسيلة، وكيف تحسب الحسابات، وكيف تعرف الصبر عند الصبر والأناة عند الاناة.

فمنذ سنتين أو ثلاث سنوات ركزت خطبتي كلها على قضية الصحراء وعلى استرجاعها، ولم أقل لك شيئا عن الوسائل التي سأستعملها لاسترجاعها، لم أقل بأنني لم أعلم إذ ذاك إلا أنني كنت موقنا أننا لابد من أن نسترجع الصحراء وأنت كنت كذلك موقنا بأننا سنسترجعها، وحينما طالبتك بالمسيرة لم أطالبك في الأول وقبل كل شيء بالسير على الأقدام ولا بالتطوع، طالبتك بالوعي، طالبتك بالمسؤولية، فتمكنت من أن أعرف وأن أعلم أن المغاربة ليسوا شعبا كالشعوب كلها، وأن الصغير فيهم، والضعيف فيهم، والكبير فيهم، في إمكانه أن يفهم التخطيط، فيدرك الأبعاد، فينتظر وقت قطاف الثمرات.

هنيئا لك حقا شعبي العزيز، هنيئا لنا أن أراد الله لنا هذه الأخلاق وأن طبعنا بهذا الطابع، طابع الحكمة وطابع الرزانة، فأصبحت شعبي العزيز بالنسبة لنفسك أو بالنسبة للآخرين، مطالبا بأن تبقى في هذا المستوى، مطالبا بأن تبقى متحليا بهذه الحلية، متصفا بهذه الأخلاق.

شعبي العزيز

عليك أن تعلم أنك حررت الصحراء، فإنك من جهة أخرى قد فقدت حريتك في تصرفك، لأنك أصبحت أسيرا، أسيرا لملحمتك، أسيرا لمسيرتك وسيرتك، فلن يقبل منك أي أحد محبا كان أم غير محب، ما يمكنه أن يوصف بالطيش أو عدم الرزانة، وحاشا الله، حاشا الله، وأنت تحب وطنك، حاشا لله وأنت تعبد ربك، حاشا الله وأنت تتخلق بأخلاق المعاملة الاسلامية النزيهة.

ولا أدل على ذلك شعبي العزيز، لا أدل على ذلك من الظروف التي نعيشها الآن، ظروف غريبة بالنسبة لنا، ذلك أننا نعيش الحملة الانتخابية، وأنت تعلم شعبي العزيز، وأنا أعلم كيف تكون مدة الحملات في الدول الأخرى ولو المتمدنة منها كثيرا، والقديم منها في الديموقراطية، فإذا أنت قارنت بين تلك الحملات، وبين ما يجري في المغرب، تجد نفسك أنت تقرأ وتكتب وتخطب، تقول ما تريد بالكيفية التي تريد، ولكن أراد الله من جهة أخرى أن تقولها وتكتبها وتخطب بها بالأدب، باللباقة، بشيء كبير من الحرص على أن لا تقول الشيء النابي، أو يخرج من فمك ما لا تحمد عقباه.

وهكذا شعبي العزيز، تعطي مرة أخرى الحجة على أنك لست شعبا في طريق النمو، تعطي مرة أخرى الحجة على أنه إذا كان يقال عن بعض البلدان التي كانت مستعمرة، إنها انتقلت في سنة كذا أو كذا، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إليك.



فالمغرب لم يفقد استقلاله، لأننا قضينا أربعين سنة من الحماية لا من الاستعمار، وأربعون سنة لا يمكن أن تعد فترة استعمار، يمكن أن يقال عنها إنها حادثة سير في التاريخ كما يقع لجميع الدول.

شعبي العزيز، ستخوض سلسلة من الانتخابات وكن موقنا أن الجهاز الاداري في مجمله جهاز نزيه، كن على يقين كذلك أن الموظفين الذين يكونون الجهاز الاداري ليسوا أجانب عنك، بل مشاكلهم هي مشاكلك، وتخميناتهم تخميناتك، مطمحهم مطمحك، عواطفهم عواطفك، والموظفون هم قبل كل شيء مغاربة يهمه سير الأمور مثلما تهمك، شؤون مدينتهم أو ناحيتهم أو وطنهم هي الشغل الشاغل بالنسبة لهم، هي بالنسبة لك، فلا يمكنني أن أعتقد ان الجهاز الاداري لن يكون مغربيا في تصرفاته وأخلاقه.

نعم، إذا نحن أحصينا عدد الموظفين الكبار، والمتوسطين، والصغار منهم، نجدهم مآت الآلاف. يمكن أن تكون ثلة من الناس وبالأخص في المستوى المنحدر جدا من السلم الاداري، أن نجد بعض الناس لا يتسمون بالنزاهة، لهم مشاكل مع فلان أو فلان، فيحاولون أن ينتقموا لأنفسهم بمناسبة انتخاب أو مناسبة اقتراع، ولكن هذا استثناء وليس بقاعدة.

فلأولئك الموظفين أقول : إن هذه الانتخابات نفسها ستمكنني من معرفتكم أكثر لأنني لا أعرف منكم إلا النزر القليل، إنني أعلم أن المغرب ولله الحمد يتوفر على أطر سواء في الكم أو الكيف، ولكن تلك الأطر جلها مختف في المكاتب وفي الادارات أو المصالح، فهذه الانتخابات ستظهر منهم الكثير، ومن تقدم منهم للانتخابات ونجح سيفوز بأنه سيرى عمله وستعرف قيمته، وسيكون هو فيما بعد من تلك الجماعة التي أريد أن أحيط بها مصالح الدولة، وأحيط بها هذا العرش الذي هو قبل كل شيء من قلب كل مغربي مغربي، تلك الجماعة التي أريد أن تكون عن يميني وعن شمالي لا أمامي، لأن الأمام هو مسؤوليتي، أريد أن تكون محيطة بي حتى نبني مغربا على مستوى المسيرة وعلى مستوى الأحداث.

شعبي العزيز، قررنا أن نجعل من يوم سادس نوفمبر عيدا رسميا للدولة، لأنه يمكن أن يوصف هذا اليوم بأنه ورقة تعريف جديدة للمغرب، لمغرب جديد نريد أن نبنيه جميعا.

نعم، ستعترضنا في الطريق صعوبات، خلافات، تشككات، حتى في بعض الاختيارات، فالاختيارات اليوم أصبحت صعبة جدا، ولكن هذا هو الطارىء، أما الماكث الباقي فهو عبقريتك شعبي العزيز، عبقريتك التي أريد أن تحافظ عليها لأنها أكبر كنز وأثمن كنز عندك، ولا شك أنك ستبقى تحافظ عليها، لأن الله سبحانه وتعالى قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »، ثم قال « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ».

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

السبت 13 ذي القعدة 1396 ــ 6 نونبر 1976